التجديد الشعري في المشرق العربي

ساهمت المدارس التجديدية في العصر الحديث في بعث الأدب العربي والانتقال بالشاعر من واقعه ليسبح في عالم من الخيال والتذوق الجمالي والطبيعة، وكان للمذهب الرومانسي دور كبير في تعبيد الطريق للأديب العربي قصد خوض هذه التجربة من باب المدارس التجديدية التي أنشأت في الوطن العربي خاصة في مشرقه بداية بمدرسة الديوان.

- خليل مطران:

يعتبر خليل مطران رائد التجديد في عصره، ويقال أنه أول شاعر في جيله عكس النزعات الحديثة، وتحرر من جمود التقاليد الشعرية، وإنه كان السلف الطيب لشعراء مثل العقاد و شكري والمازني وأول شاعر أدخل النزعة القصصية في الشعر العربي الحديث. وقال عنه طه حسين: "أن مطران ثائر على الشعر القديم ناهض مع المجددين وهو قد سلك طريق القدماء فلم تعجبه، فأعرض عن الشعر ثم عاد إليه، فحاول أن يعود مُجددًا لا مقلدً. وذكر جملة من الخطوات لبناء القصيدة العربية منها:

1 - الجدية في عرض الموضوع مهما كانت يتناوله فإذا وصف شار الطبيعة مثال ودنا وصفه لا يخلو من عاطفة حارة وإحساس صادق يقوم على مزج الشعور ما يصفه وما يراه، يقول:

لله لبنان ما أبهاه من جبـــــل يمشي به الحسن تصويبا وتصعـيدا
في كل موضع طرف آية عجب تلقي المنى وتريح الذهن ملـــدودا
درابه بخر الأزهار موتقـــــة وماؤه قرقف ينلشـــي اأماليـــــدا.

كلمة "طرف" هنا من الكلمات التي أكثر الشعراء من استخدمها في الشعر العربي القديم، وتشبيه الماء في لبنان بالخمر "قرقف" وكذلك نجد كلمة " المااليد" وهي جمع "أملود" وهو الغصن، وهذا ما يدخل في باب التقليد، ولكن هناك سمات تجديدية أضافها خليل مطران وهي صدق العاطفة العاطفة.

2 - الدعوة إلى الوحدة العضوية المتماسكة في القصيدة حتى تصيرا جسدا واحدا لا يمكن الاستغناء عن أي عضو فيه وإلا تشوه الجسد الشعري. يقول خليل مطران:

شاك الى البحر اضطراب خواطري فيجـــــــيبني برياحـــــــه الهوجاء
ثاو على صخر أصـــــم وليت لي قلـــــــبا كهـــــذي الصخرة الصماء
ينتابها موج كموج مكـــــــارهي ويفـــــــتها كالسقم في أعضـــــــائي
والبحر خفاق الجوانـــــــب ضائق كمدا كصدري ساعة الإمســـــــــــاء
يا للغروب وما به من عـــــــبرة لـــلمستهام وعبرة للرائـــــــــــي
أوليس نزعا للنهار وصرعـــــة للشـــــــــــمس بين مآتم الأضواء

3 - استحداث الشعر القصصي كنوع أدبي وكان ديوانه الأول يضم عددا من أشهر قصائده القصصية المستمدة من التاريخ القديم وذلك ليعبر به عن أفكاره الخاصة عن المجتمع والحياة والطغيان، أو ليروي قصة حبه المأسوية ، ففي قصائده مثال "مقتل بزر جمهر" و "نيرون" تمتلئ بالمعاني الاجتماعية والسياسية ذات الطبيعة الثورية. البالغة، يقول :

ما كان كسرى إذ طغى في قومه إلا لما خلفـوا له فعـــالا
لكن خفض الأكثرين جناحهـم رفع الملوك وسود الأبطـــالا

4 ـ يقول في هذا العنصر الحساس: إن الفن ينضج في جو من الحرية وهذه القيود الثقيلة، قيود القافية الواحدة والوزن الواحد تتعارض مع حرية الفن، على أن للقدامى طريقتهم فما لنا ال نحاول أن تكون لنا طريقتنا، هناك أكثر من طريقة واحدة والذهن البشري لا يعجز عن الابتكار وظاهرة أن أسلوب الشاعر لا يتأثر بالوزن والقافية، ومن هنا تجد التجديد الذي أنشده لن يكون كاملا في أسلوبه، غير أنني سأجتهد وسع الطاقة في أن أدخل في القديم ما يلحقه بالجديد، وتلك آخر التجارب التى أعالجها من هذا القبيل وعندئذ سأضع التجديد في الوزن والقافية. فمن القصائد التي يختلف وزن شطرها الأول عن الثاني يقول:

من بقايا الشباب في وادي قلبـــي المستكين
زهرة في شحوبها العادي ظمأ مــن سنين
لبثت وهي آخر الزهـــر فـي رياض الهوى

و لم يقف مطران عند هذا الحد بل قدم في بعض الأحيان قصائد مرتكزة على غير بحر، بحيث تصبح القصيدة الواحدة مؤلفة من أبحر متعدد، على نحو ما نجده في قصيدته "نفحة"

5 ـ التجديد في الصورة الشعرية: حاول خليل مطران" أن يضيف إلى الخيال الشعري بعدا جديد، يأخذ وحيه من الشعر الرومانسي الغربي، فلم يعد مطران يصف الأشياء محتفظا بمسافة بينه وبينها مركزا على الأبعاد الخارجية للصورة بل أن الشاعر أصبح يحل في الأشياء كما أن الأشياء تحل فيه، ففي قصيدة "المساء" تبدو رومانسية "مطران" واضحة وتظهر براعته في الوصف والتصوير الشعري و صياغة اللغة الشعرية و كذلك الكثافة اللغوية.

قَلْبٌ أَذَابَتْهُ الصَّبَابَةُ والجـــوي وَغِلاَلــةٌ رَثَّتْ مِـــــــنَ الأَدْوَاءِ
وَالرُّوحُ بَيْنَـهُمَا نَسِيمُ تَنَهُّـــــدٍ في حَالِي التَّصْوِيبِ وَالصُّعـــَدَاءِ
وَالعَقْلُ كَالمِصْبَاحِ يَغْشَى نُورَهُ كَدَرِي ، وَيُضْعِفُهُ نُضُوبُ دِمَائي

ـ جماعة الديوان:

ارتكزت جماعة الديوان على ثلاثة من الشعراء تسلحوا بالثقافة الإنجليزية واهتموا بالعقل، وغلبوه على العاطفة، مع أنهم تأثروا بالمدرسة الرومانسية الإنجليزية أكثر من غيرها، وهؤلاء
الشعراء هم :عبد الرحمن شكري، إبراهيم عبد القادر المازني، وعباس محمود العقاد الذي درس على نفسه دراسة عصامية. وعرفت بهذا الاسم نسبة إلى أهم كتاب نقدي قدمته وهو كتاب الديوان في الأدب والنقد. والشعر الوجداني عند جماعة الديوان هو " شعر النفس وهو من أجل ذلك لا بدّ أن يخلو من كل صنعة لفظية، ومن كل تكلف عاطفي، ولا تشترط فيه جدة المعنى، ولا دقة المنطق، ولا رقة الأسلوب، ولا فخامته، وإنما شرطه الوحيد أن يكون قطعة من نفس صاحبه، وأن يصادف هوى في نفوس سامعيه"

من خصائص مدرسة الديوان:

ـ التأمل في الكون والتعمق في أسرار الوجود.
ـ القصيدة عندهم كائن حي كالجسم لكل عضو وظيفته.
ـ الوحدة العضوية المتمثلة في وحدة الموضوع ووحدة الجو النفسي.
ـ الصدق في التعبير والبعد عن المبالغات.
ـ الجمع بين الثقافة العربية والإنجليزية و التطلع إلى المثل العليا والطموح
ـ يستمدون صورهم من البيئة الجديدة

ـ توظيف لغة العصر.
ـ الشعر عندهم تعبير عن النفس الإنسانية وما يتصل بها من التأملات الفكرية.
ـ ظهور مسحة من الحزن والألم والتشاؤم واليأس في شعرهم.
استحداث موضوعات غير مألوفة.
ـ التنويع في الأوزان والقوافي وقد ظهر ذلك في الشعر المترجم الذي ترجموه ليكون قدوة لهم، بل وظهر في شعرهم وهذا دفعا للملل والدعوة إلى الشعر المرسل.

مدرسة أبولو:

تأسست عام 1932 **بقيادة** أحمد زكي أبو شادي، وتجمع طائفة من الأدباء والشّعراء والنّقادن ومنهم علي محمود طه ،إبراهيم ناجي، كامل الصيرفي ، محمد عبد المعطي الهمشري وكامل كيلان...وعرفت هذه المدرسة بأنها " مدرسة متحررة انضوى تحت لوائها أصناف مختلفة من الشعراء(...) وذلك هو مذهب أبي شادي في الشعر، فهو يريد أن يفسح المجال في وجه كل تيار ويرى أن كل تيار لا بد أن يساهم بأسلوبه الخاص في تشخيص النفسية العامة للأمة العربية، وعلى هذا كان يرحب بالشعر التقليدي، والحر، والمرسل، والرمزي، والسريالي"، ومن أهم الأسباب التي هيأت لظهور هذه الجماعة الشعرية زيادة الانفتاح على الأدب الغربي، والتواصل معه عن طريق الترجمة والتعريب.وأصدرت الجمعية مجلة تحمل اسمها حددت فيها الغرض من إنشاءها:

ـ السمو بالشعر العربي، وتوجيه جهود الشعراء توجيها شريفا..
ـ مناصرة النهضات الفنية في عالم الشعر.
ـ ترقية مستوى الشعراء ماديا وأدبيا واجتماعيا، والدفاع عن كرامتهم.

وهي أهداف تلاقت مع أهداف الرابطة القلمية والعصبة الأندلسية ومدرسة الديوان.

ـ علي محمد طه:

تميز شعر علي محمود طه في بعض جوانبه بنزعة الحزن كما نرى عند معظم الشعراء الرومانسيين ويتجلى ذلك في قوله في قصيدة "غرفة الشاعر" يقول فيها:

أيها الشاعر الكئيب مضى اللي ل ومازلت غارقاً في شجونـــك
مسلماً رأسك الحزين الى الفك ر وللسهد ذابلات جفونـــــك
ويد تمسك اليراع وأخـــــرى في إرتعاش تمر فوق جبيـــنك
وفم ناضب به حر انفـــــا سك يطغى على ضعيف أنينـــك

أولى الشاعر لقضايا أمته اهتماما بالغا حيث يقول في قصيدته فلسطين:

أخِـي جـاوَزَ الظالمونَ المَـــدَى فـحَـقَّ الجِهَـادُ وحَـقَّ الفـــِدَا
أنـتـركُهُم يَـغـصِبون العُـروبَ ةَ مَـجـدَ الأُبَـوَّةِ والسُّـــــؤدَدَا
وليسُوا بغيرِ صَليلِ السُّيـوف يُـجِـيبُـونَ صَوتاً لنا أو صـــدى
فَـجَـرِّد حُـسَـامَكَ من غِـمدِهِ فـليس له بَـعـدُ أن يُـغمَـــدا
أخــي أيُّها العربـيُّ الأبـــيُّ أرَى اليوم مَـوعِدَنا لا غَـــدَا
فَلسطِينُ يَفدِي حِمَاكِ الشّبـابُ فـجَـلَّ الفِدائِيُّ وَالمُـفـتَـــدَى
فَلسطِينُ تَحمِيك منَّا الصّـــدُور فـإمَّا الحـيـاةُ وإمـــــــا الرَّدَى

صرخة الشاعر كبيرة لشحذ همم الأمة العربية وحثها على الجهاد والوقوف إلى جانب فلسطين ونصرة قضيتها والمقطوعة مغمورة بقيم حب الوطن والاتحاد والإيمان بالمبادئ.

- إبراهيم ناجي:

ترجم الكثير من الأشعر إلى الفرنسية والإنجليزية، ونقل القصيدة العربية من التعبير بالألفاظ والجمل إلى التعبير بالصور الشعرية الساحرة حيث يقول: "الشعر موسيقى وخيال وإمتاع وصور ... وأما الصور الشعرية فنعني بذلك انك حين تقرأ للشاعر قطعة من شعره يكون الشيئ وكأنه مرسوم أمامك بوضوح شديد."

يا فؤَادِي رحم الله الْهَـــــوَى كَانَ صَرْحاً من خَيَالٍ فَهَـــوَى
اِسْقِنِي واُشْرَبْ عَلَى أطْلاَلِـهِ وَارْوِ عَنِّي طَالمَا الدَّمْـــع رَوَى
كَيْفَ ذَاكَ الْحبّ اَمْسَـــــــى خَبراً وَحَدِيثاً من أحَادِيثِ الْجَوَى.

إبراهيم ناجي في مطلع هذه القصيد يخاطب قلبه وكأنه شخصا يسمعه ويفهم ما يقوله، ويشتكي له أن هوى الذي ظن أنه لا مثيل له انتهي، وأنه كان مثل صرح عال ثم سقط في الأرض، وهذا تشبيه بليغ يعبر عن مدى حرص الشاعر على حبه العظيم ، ولكنه يمنى نفسه في نهاية هذه الأبيات بأن هواه سوف يصبح ذكرى يحكيها الناس جميعا، كما أنه يتحسر على هذا الحب في ذات الوقت أنه لم يبق منه سوي أحاديث يذكره الناس وأخبارا تروى.

لم يلتزم ناجي بالقافية الموحدة، كما جدد في التنويع العروضي من مقطع لآخر، وعمد إلى الموائمة بين الموسيقى والتعبير عن الأحاسيس والمشاعر كقولة في قصيدة عاصفة الروح:

أين شط الرجـاء يا عباب المهموم
ليلــتي أنـــواء ونهــاري غيــوم
اسخري يا حياة قهقهي يا رعــود
الصبـاه لـن أراه والهوي لن يعـود

وهذا التنويع في الروي مرده رغبة الشاعر في الخروج من نمطية الإيقاع والموسيقى.

خصائص شعر جماعة أبولو:

أرست جماعة أبو لو قواعد جديدة للشعرية، دافعت عنها بكل ما توافر لها من إمكانيات، وخاصة من خلال المجلة التي كانت جسرا بينها وبين القراء، ومن خصائصها:

-الوجدانية، ومن مظاهرها القلق والنزعة الإنسانية والاهتمام بالأشياء البسيطة.

-الانحياز للطبيعة، لأنها خزان المجهول والأسرار، فأغرقوا في الخيال والتأمل، واستعاروا الرموز الأسطورية والصوفية.

- التنويع في القوافي وأحيانا تحرروا منها، وكتبوا ما أسموه بالشعر المنثور الذي لا وزن ولا قافية له.

-التوكيد على وحدة القصيدة، وعلى وحدة الشاعر نفسه في مذهبه.

-الاهتمام بالشعر القصصي والمسرحي.

-الدفاع عن الحرية الكاملة للشاعر في النهل من كل الثقافات وتضمينها بطريقة تتناسب مع مبادئ الرومانسية.

نافلة القول هي أن الجماعتين اتفقتا في القيمة الذاتية للشاعر، وفي مبدأ الحر يّة كمبدأ عام يحكم كل شيء في الوجود، وهو ما يعطي الشرعية للانفتاح والتجديد، ولكن في ظل قيم جمالية تعطي للأشياء معناها العميق والحقيقي في علاقتها بالنفس ومشكلاتها لا كأعراض خارجية وأشكال وصور تراها كل عين.